مقابلة مع سارتر وموراڤيا

في قضايا الفكر والثورة..

نشرت مجلة « لسبرسو » الايطالية في احد اعدادها الاخيرة مقابلة هامة مع كل من جان بول سارتر والبرتو موراڤيا حول قضايا الفكر والثورة ، نقدم ترجمة كاملة لها فيما يلي :

الثورة والترميم : حول هذين القطبين دار كثير من النقاش السياسي ـ الايديولوجي في كل من فرنسا وايطاليا خلال السنوات الاخيرة . واذا كانت الاوقات مختلفة في كل من البلدين فان المواضيع والخلفيات كانت مشتركة بينهما . كما ان التجربة الفرنسية كانت اشد مأساوية من تلك الايطالية التي برزت خابية . ومن بين رماد الجمهورية الرابعة ولد نظام الحكم الديغولي الذي تمخض في عام ١٩٦٨ عن متاريس ايار التي استمدت منها قوة وافكارا الحركات الثورية في نصف اوربا . غير ان عهد المتاريس لم يكن طويلا . فعندما غاب ديغول تشكل نظام جديد للسلطة اشد رهافة لكنه ليس شديد الاختلاف عن سابقه ، واخذ هذا على عاتقه مهمة امتصاص قمم تلك الصراعات البارزة وتسييرها في طرقه ذلك لحمل الوضع الى المستويات القديمة . اما في ايطاليا ، فمنذ اربعة اعوام خلت فتحت اولى الاضطرابات الطلابية الابواب للاوهام الثورية امام من اراد ان يهرب على هذه الدرب نحو آفاق من المراوحة والتقليدية . وهكذا بدأت تتشكل حتى في ايطاليا ايديولوجية الترميم . وقد مدت هذه الايديولوجية ، التي خدمتها الاحزاب السياسية ، والفئات الاجتماعية وحتى سلطات الدولة ، مدت الموجة الفاشية بانطلاقاتها .

وما زال الوضع حتى اليوم مختلفا في كل من البلدين . غير ان النقاش لم يتغير . فهناك في كل من فرنسا وايطاليا من ينظر ويحاول ان يطبق « الثورة الدائمة » ، وهناك ايضا ـ على الجبهة الاخرى ـ من يكرز ويحاول ان يطبق قوانين الترميم . فأية آفاق ترتسم الان أمام كل من الطرفين ؟ وقد طلبنا من جان بول سارتر (وهو الكاتب الذي تحول الى اطار سياسي منظم) ومن البرتو موراڤيا (وهو الكاتب الذي بقي مخلصا لموهبته وطريقه) ان يقدما لنا جوابا وان يقارنا بين وجهات نظرهما حول هذا الحديث .

سؤال :

التمردات اليوم هي جانبية ومحددة باماكن معينة ، كما انها تزداد صلابة وتنتهي احيانا بصدامات جسدية وعملية . فهل ترى ان بوسع هذا أن يتعمم وأن يصبح تمردا موحدا ؟ كيف ؟

سارتر :

لا اظن ان الفترة الراهنة هي فترة التعميم الشامل . ولا يتعدى الامر الان تجميع بعض هذه الصراعات وتوسيع التحالفات وتقويتها . اننا باختصار في فترة اولى هي فترة الرباط التنظيمي ، حيث يمكن التنظيم ، ولسنا بعد في الفترة الثورية فعلا . وبوسعنا ان نفترض وصول المرحلة النهائية بعد فترة من الزمن قصيرة ، غير اننا الآن ما زلنا في المرحلة الاولى . انه من الصعب ولا بد جمع محتلي البيوت الى العمال المضربين . فما يوحد بينهم هو انهم يصطدمون مع قوى امن مختلفة ، غير ان هذا لا يمكن له الان ان يتمخض عن وحدة ما . على اية حال ليس بوسع حركة الاحتلال ان تثير اهتمام الناس الا عندما تتسع . هناك الان في باريس ١٦٥ منزلا شاغرا ، وهذا يعني وجود العديد من الناس ممن يمكن اعطاؤهم منزلا . وقد عملنا في الفترة الاولى على احتلال بعض هذه المنازل : غير ان قمعا بوليسيا عنيفا جرى وتم اخلاء العديد من البيوت رغم انها كانت مسكونة ومحتلة بصورة تامة . والان يجب استئناف هذا الصراع واعادة بنائه ، وعندما ينتقل هذا الصراع الى مجال اوسع يمكن ان يلتحم به العمال ايضا .

سؤال :

وموراڤيا ، ما هو رأيه بالمسألة ؟ هل بوسع التمردات المحلية ان تتعمم وتصبح تمردا عاما ؟ وكيف ؟

موراڤيا :

أظن أن المستقبل سيشهد تمردات تزداد على الدوام رغم انها محلية وجانبية وجزئية . اما سبب هذا فهو من جهة معينة ، كثافة السكان الكبيرة وما تثيره من توترات اجتماعية ، ومن جهة اخرى هناك اسطورة الثورة على انها الحل الوحيد لازمات النظم . وقد نجمت هذه الاسطورة بدورها عن ان النظم السياسية الحالية ، في الشرق كما في الغرب ، تدين بوجودها للثورات ، فهناك الثورة البرجوازية عام ١٧٨٩، والثورة الاشتراكية عام ١٩١٧ . غير ان التمردات المحلية والدورية ليست تمردات ثورية شاملة . واني ارى هذه الاخيرة ممكنة في البلدان التي لم تتسيس بعد اكثر مما اراها ممكنة في البلدان التي تسيست . والغريب ان الكتل الجماهيرية ـ اذا ما حاكمنا الامور من خلال ما جرى حتى الان على اقل تقدير ـ تتحرك ثوريا لاسباب (رغم انها حيوية وعادلة فهي بشكل ما) معادية للثورة ، اي انها اسباب امن . وفي تعبير اخر فان هذه الكتل تنتقل ، بصورة جد منطقية الى العمل والنشاط السياسيين عندما تشعر انها في خطر بصفتها كتلا جماهيرية، اي بمناسبة وجود شرور عمومية مثل العطالة عن العمل والحرب

البرتو مورافيا

★★★

والمجاعة والفوضى المعممة . هذا ما حدث على الاقل في الثورات الثلاث الكبرى الفرنسية والروسية والصينية. اما في البلدان المسيّسة فيبدو ان الثورة اشد اليوم صعوبة مما كانت عليه في الامس . فالسياسة هي في نهاية الامر وسائطية بطبيعتها .

سؤال :

منذ عام ١٧٨٩ وفرنسا تفتخر ببعض انواع الحرية الاساسية . ما الذي تفعله الحكومة ؟ واليسار المتطرف ؟ هل يطالب هو ايضا بهذه الحريات البرجوازية ظاهريا ؟

سارتر :

ان الحكومة تسعى للحد من هذه الحريات ما أمكنها وهكذا فاني اتهمت لاني نشرت في « قضية الشعب » بعض العبارات بلا معنى بما فيه الكفاية وحول البوليس . وبدلا من ان يجيبوني على صفحات الجرائد تقدموا بتهمة ضدي . وهكذا فان حرية التعبير لمن هم مثلي هي محدودة جدا ، كما ان حرية التجمع محظورة بما ان اكثر المظاهرات التي اردنا تنظيمها في الساحة قد منعت من قبل مسؤولي الامن. كما ان الحرية واستقلال السلطة التي كانت موجودة في الجمهورية الثالثة (ومع ان الحكومة عملت على اعتقال Duclos لكنها اضطرت لاطلاق سراحه بسبب كونه نائبا) لا توجد بعد كما كانت موجودة آنئذ .

وان الحركة التي ارتبط بها ، اي الحركة التي تدعم « قضية الشعب » لا ترى انه يمكن ازدراء هذه الحريات في حد ذاتها ، بل ترى انها تجريدية . والطريقة الحقيقية لاستخدامها لا تكمن في خنقها بل في جعلها عملية وملموسة . فلحرية التعبير على سبيل المثال معناها ، وحرية الارتباط لها معناها ، غير ان هذا المعنى يجب ان يكون عمليا وملموسا . عندما كنت في الصين قال لي احد الصينيين : « أنا حر »، فقلت له أنا : « لماذا ؟ » فقال لي : « منذ عامين لم اكن املك سوى حذاء واحد ولم يكن بوسعي لهذا ان اشارك في بعض الالعاب الرياضية التي تهمني . اما الان فلديّ حذاءان ، ولهذا فاني حر في ان افعل ». وان خطيئة الثورة السوفيتية كان يكمن الى حد بعيد في انها خنقت الحريات ، وهذا غير منصوص عليه في دستورها ، غير انه بعد ستالين اصبح امرا واقعيا .

سؤال :

جان بول سارتر

★★★

ايطاليا ايضا تفتخر ببعض الحريات الاساسية ، لكن منذ فترة اقرب . هل هي غيورة عليها ، وترى انها في خطر ام انها « شكلية » بحتة ؟ ما هو جواب مورافيا ؟

مورافيا :

الحريات الاساسية تتلخص في نهاية الامر في حرية واحدة ، تلك التي وصفتها روزا لوكسمبرغ على الشكل التالي « الحرية هي حرية التفكير بصورة مختلفة » . انها حرية قديمة قدم العالم ، رغم انها تأكدت خلال فترات مختلفة وتمجدت من قبل الثورات البرجوازية المتعددة بدءا من ثورة الـ ٨٩ . غير ان كونها حرية برجوازية اساسية يجب ان يحمل على التأمل كل اولئك الذين يريدون انقاذ مصالحهم بالغائها . فمن غير تلك الحرية ينتقل الحديث عن الحرية وبصورة مباشرة الى تلك الحرية « العملية والملموسة » التي تكلم عنها سارتر والكامنة في امتلاك حذاء آخر ليكون الانسان « حرا » في المشاركة في الالعاب الرياضية .

سؤال :

عندما يجري الكلام عن الفاشية يدور التفكير حول حزب جماهيري فهل من الممكن قيام هذا النوع من الفاشية في فرنسا ، واذا لم يكن ممكنا ، هل يمكن قيام فاشية من نوع آخر ؟

سارتر :

الفاشية هي سلطة الاخر ، اي ، اساسيا ، هي السلطة الديكتاتورية المرتبطة بحزب جماهيري عليه ان يقوم بدور الوسيط بين الاعلى والاسفل . ومن المستحيل تفهم حزب مماثل في فرنسا الان . غير ان عناصره متوفرة . لكن هناك شكلا آخر للديكتاتورية قويا قوة الديكتاتورية الفاشية من غير ان يكون على اية حال مرائيا وواضحا مثلها ومن غير ان يستعمل اساليبها نفسها . فالحزب الفاشي ، ممثل جانب من الجماهير كان يمثل القمع المكشوف : كان يهدم حانوت يهودي او يسيء معاملة العمال الشيوعيين او كان يتأكد من طاعة الجميع له في حياتهم الخاصة . اما اليوم فلا حاجة لكل هذا بعد ، والامور تجري بصورة مختلفة . فظاهريا يتم الحفاظ على اشكال الديموقراطية البرجوازية القديمة ، لكن بصورة ظاهرية تامة . اولا نرى ان المجلس لا يمتلك اية صلاحية . وتنتخبه اكثرية محافظة هي اليوم حزب UDR وعندما ينتخب يقدم استقالته ، اي انه يهجر السلطات التي كانت

ـ التتمة على الصفحة ـ ٧٥ ـ

مقابلة مع سارتر وموراڤيا

ـ تتمة المنشور على الصفحة ١٣ ـ

المجالس تمتلكها على الاقل خلال الجمهورية الثالثة . وهو يكتفي بالتصويت على ما يقترحه رئيس الحزب ، والذي هو رئيس الوزراء ، ولهذا فالمجلس لا يملك بين يديه المراكز التقريرية . انها ليست ديموقراطية بعد . والحماقة اذن هي التصويت ، هي ارسال الاحزاب القانونية الى السلطة .

والطريق الوحيدة لمساعدة الناس على الوعي والادراك هي الوصول للقول اليها « لكن ، عندما تكون وحيدا (مع ان الكتل الجماهيرية هي اكوام من الافراد المعزولين من قبل الرأسمالية) فانك ترى الاشياء على هذا المنوال ، الان لنتجمع . وبين الجماعة يبدو عن حق كل ما يراه الانسان وكل ما يفكر به » .

سؤال :

وهل يرى موراڤيا امكانية نمو حزب فاشي في ايطاليا ؟

موراڤيا :

ارى الامر كما يراه ويلهلم رايخ (سيكولوجيا الكتل الجماهيرية في الفاشية) أي بينما نرى أن الاشتراكية موجودة منذ اقل من قرنين فان الفاشية ، على انها هلوسة خضوع الانسان للسلطة ، تعود الى ستة آلاف سنة خلت . وهذا فان الخطر الفاشي هو قائم على الدوام. على اية حال فان الحلول الفاشية التقليدية (من النوع المتوسطي) تبدو اليوم في ايطاليا قليلة الترجيح . واظن أن هناك امكانية اعظم لمحاولة تسلطية من النوع الاوربي ، وهذا لان ايطاليا عام ١٩٧٢ هي بلد اشد تعقيدا . وحداثة وغنى من ايطاليا عام ١٩٢٢ . واعتقد من جهتي ان خطر الفاشية الاعظم يكمن في عدم مقدرة الطبقة الحاكمة على تامين اماكن العمل والسلطة لجميع شبان الطبقات المتوسطة .واذا ما امعنا النظر في اصول تمردات اليمين نرى أن فيها عطالة الاطر قبل كل شيء . فالاجيال شديدة الكثافة ، كثيرة والاقتراب من السلطة شديد البطء ومعقد . وهكذا فان من يفقد صبره يعجن ما يسمى بـ « الحركات » (وهي كلمة معبرة جدا) ليبعد عن السلطة من في السلطة ويحتلها بدوره .

سؤال :

لقد وقعت منذ قليل من الوقت عريضة لصالح الناشر الالماني كلاوس فاڤينباخ ، ضد منع كتابين كتبت احدهما جماعة بادر ـ ماينهوف . فاية فعالية ترى لهذه العريضة ، وما هي فعالية العرائض والبيانات والنداءات التي يوجهها المفكرون بشكل عام ؟.

سارتر :

ان اوقع على عريضة ضمن اتجاه اليسار ، بكل معنى الكلمة، امر لافضاضة فيه . لكني لا اعطي اية اهمية لتوقيع ما . وعندما يصدر بيان ضد الحكومة يوقع عليه المفكرون يقال : حسنا ، انهم يستخدمون حريتهم في التعبير ، ذلك كما يقال عند التصويت . انهم يستعملون حريتهم في التصويت . غير ان هذا لا يفيد في واقع الامر شيئا . وامر لا يصدق هو عدد البيانات والعرائض التي وقعتها منذ عام ٤٥ وما بعده . واحد او اثنان افادا بعض الشيء . كان هناك بيان الـ ١٢١ مفكرا حول الحرب الجزائرية والذي اعلنا فيه عزمنا على دعم الفارين من الخدمة العسكرية . لقد اثار هذا البيان كثيرا من الضجة ، وساعد ، لكن ليس كثيرا .

سؤال :

وهل يرى موراڤيا ان للعرائض والبيانات والنداءات الخ .... التي يوقعها المفكرون فعالية ما ؟

موراڤيا :

لا اعتقد ان لها فعالية كبيرة : على اية حال لا يمكن للمرء ان يرفض التوقيع عليها بادب . ومن جهة اخرى لا يمكن للمفكرين الا يوقعوا عليها : انه جانب ، رغم انه جانب ثانوي ، من جوانب نشاطهم المهني ان صح مثل هذا القول .

سؤال :

من هو المفكر عمليا ؟

سارتر :

أعتقد أن المفكر هو الضمير التعيس ، انه شخص يؤكد ان رسالته عامة شاملة . ومطامحه تكمن في أنه يريد تثبيت صيغ او اعطاء اوصاف تلائم الجميع وتعالج الجميع بالطريقة نفسها اذا كان الامر متصلا بالعلاج وعلى سبيل القول . غير ان المفكر هو ايضا من يدرك، اذ يعمل بالعمومي من خلال العلم العملي ، أن كل ما يفعله ينحاز لصالح جانب واحد . فاذا عولج العمال نوعا ما ، فرغم كل شيء الطب هو طب طبقي والعدل هو عدل طبقي . اننا نجد تناقضا على الدوام بين العمومي الذي نخدمه وبين الخصوصي الذي هو الطريقة التي نستخدم بها المفكر . هذا التناقض اسميه انا الضمير التعيس : انهما عمومي وخصوصي هيجل اللذان يتصارعان ، وهما في حال تناقض داخل الضمير . والمفكر الكلاسيكي هو الذي يسر لضميره التعيس . وهو يقول لنفسه بما انه تعيس فلا بد ان يستخدم . كما انه يقوم بمهمته وهو يكرر : يا للمصيبة ! ثم يشير كم من العمومي ومن الخصوصي يوجد في اجراء ما تتخذه الحكومة . بيد أنه ان كان تعيسا الى حد بعيد فمن الافضل أن يقضي على نفسه على انه مفكر كلاسيكي.وبالفعل هناك أشخاص وكتل جماهيرية وجماعات ، أي الشعب باختصار، والذي يخلق نفسه تدريجيا ليطلب العمومي . ان الشعب لا يريد اختيارا ، او تنسيقا ، بل يريد العمومية والمساواة . وهكذا لا بد من الوقوف الى جانبه : فالمفكر هو مفكر عندما ينتقل الى مستوى الشعب الذي يريد العمومي عن حق .

ان بحوذة المفكرين الان عددا معينا من المعارف ، اقل مما يظنون، واقل بكثير ، غير ان بوسع عدد معين من هذه المعارف ان يكون ذا نفع . فليذهبوا نحو الشعب وليضعوا انفسهم تحت تصرفه وليعملوا من اجله وليفعلوا ما هو غير قانوني عندما يفعله . فالمفكر هو بصورة اساسية على هذه الصورة .

ثم ان المفكرين لا يطرحون عن انفسهم هذا السؤال : وكيف سيستقبلوننا ؟ الواقع ـ وبوسعي ان اشهد على هذا ـ انهم يستقبلوننا على أحسن وجه . والاحساس الوحيد الذي لاحظته في البدء كان قليلا من الدهشة : انظر . انهم ياتون الينا . بعدها نتفاهم بصورة جيدة جدا : فلن يكون هناك مفكرون وعمال ، بل لن يتعدى الامر امر عمل ينجز معا .

سؤال :

وموراڤيا ؟

موراڤيا :

المفكر ، في ايطاليا على وجه الخصوص ، هو اطار يتمتع بالسلطة ولهذا فهو يعمل على انه سلطة ، او انه لا يملك السلطة بعد وهو يطمح لهذا اليها . اما في فرنسا فما زال متبقيا المفكر ما قبل الماركسي، اي النزيه الذي لا يعمل لمصلحته ، او الـ « Philosophe » غير اني لا اعلم الى اي حد . ويبدو أن المفكرين في ايطاليا ، والان في كل مكان ، سيصبحون اطرا او مديرين للايديولوجية فضلا عن كونهم دعاة هذه الايديولوجية نفسها من خلال وسائل الاعلام« ماس ميديا »وبوسعنا ان نجازف ونفترض بان المفكرين ياخذون المكان الذي كان يحتله الرهبان في الماضي . اما الفنان فهو على العكس من ذلك صانع فن يدوي ، ولو كان هذا يجري على مستوى رفيع او رفيع جدا ،اي انه بروليتاري من البروليتاريين ولا اهمية البتة له . غير ان بوسع الفنان ان يكون « ايضا » مفكرا . اما المفكر فهو ليس فنانا على الاطلاق .

روما

ترجمة نبيل الهايتي